كلية: التربية القائم

القسم او الفرع: اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة: م.م. سامر إبراهيم جبير قدوري

اسم المادة باللغة العربية: النقد العربي القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية: Ancient Arab criticism

اسم المحاضرة الثامنة باللغة العربية: الجاحظ ومفهوم اللفظ والمعنى

اسم المحاضرة الثامنة باللغة الإنكليزية: Al-Jahiz and the concept of pronunciation and meaning

الجاحظ ومفهوم اللفظ والمعنى ٢٥٥هـ

كان الجاحظ من أوائل من لفت الانتباه إلى البحث عن سر الإجادة في النص الأدبي، أي بمعنى آخر، هل الفضل في الإجادة الفنية عائد إلى المعاني أم إلى الألفاظ.
لقد صار رأي الجاحظ في هذا الموضوع منطلقا وبداية لكل من يريد الخوض فيه حيث يقول (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة إلماء وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير).

لقد توهم كثير من الباحثين في فهم رأي الجاحظ هذا مكتفين بالجملة الأولى من كلامه (المعاني مطروحة) ليستنتجوا أن الجاحظ من أنصار الألفاظ على المعاني وشكل في هذا مدرسة نقدية كان من آثارها أبو هلال العسكري، ومن الباحثين من يرى أن الجاحظ يربط بين الإعجاز وأنه متصل بالنظم وحده بصرف النظر عما يحويه القرآن من المعاني إذ طلب الله تعالى أن يأتوا بعشر سور من مثله في النظم والروعة في التأليف، والجاحظ وقف وقفات رائعة عن الآيات الكريمة منبها إلى سمو معانيها وكيف عبر عنها القرآن الكريم بإيجاز معجز وأسلوب باهر.

إن الجاحظ لم يكن من أنصار الألفاظ على المعاني ولا من الذين عنوا بالصياغة والأسلوب فحسب وانه لم يفصل بين الألفاظ والمعاني بتحديد مفهوم المعنى عنده بل إنه اعتنى بالنص الأدبي بكل ما يحمله من معان عبر عنها بألفاظ وأساليب وأوزان، فالنص الأدبي الجيد هو ما كانت أفكاره ومعانيه جيدة مقبولة في النفس وكان أسلوبه جميلا مؤثرا، واذا انفرد بإحدى هاتين الميزتين دون الأخرى أصابه الخلل وخرج عن إطار النجاح الفني.

والجاحظ أراد بقوله: المعاني مطروحة في الطريق، إلفات الانتباه إلى أن النظر إلى ما يحمله البيت الشعري من حكمة أو موعظة والاكتفاء بها لتقويم البيت هو نظر قاصر؛ لأنه يريد للمعنى الجيد أن يخرج بإطار أدبي جميل مؤثر. وقد أورد الجاحظ عناصر النص الأدبي كالآتي: إقامة الوزن: أي في اختيار الأوزان المناسبة للمعاني المطروحة. وتخير اللفظ وسهولة المخرج. وكثرة إلماء وصحة الطبع: ويريد بهما بعد الشعراء عن الجفاف والافتعال المصطنع.

إذن ليست هناك مفاضلة بين الألفاظ والمعاني في النص الأدبي في رأي الجاحظ، فإذا أدخل الشاعر أو الكاتب الحيف على إحداهما عيب قوله، لكن تقدير المعاني الجيدة مناط بالذوق والفهم ولا يمكن أن يحدد بقاعدة وشروط. لقد نص الجاحظ في أكثر من موضع على وجوب توفر الطبع وعدم التكلف في استعمال الألفاظ وعاب على الأدباء التشادق والتكلف في استعمال الغريب من الألفاظ وما لم يعد له وجود في حياة الحاضرة المترفة.

ويرى الجاحظ أن المفردات اللغوية متفاوتة بتفاوت بيئات المتكلمين بها، فاللغة العربية تختلف مفرداتها وأساليبها باختلاف أحوال المتكلمين بها، فلغة البادية غير لغة الحاضرة، وان لغة الحواضر نفسها تختلف مفرداتها تبعا لقربها من البادية منبع الفصيح العربي وتبعا لطبيعة سكانها وتركيبهم الاجتماعي ومدى اختلاطهم بغير العرب، وأقر الجاحظ أن اختلاف الأساليب تابع لاختلاف مستويات الناس العقلية والاجتماعية، فما يفهمه البدو هو غير ما يوجه إلى أهل الحاضرة، وما يوجه إلى الأدباء هو غير ما يخاطب به العوام. إذن فالناس طبقات من حيث مستواهم الفكري.

وتحدث الجاحظ عن قيمة الجمال الفني في النص ومكانة العناصر الفنية الكامنة في معانيه وأسلوب صياغته فقال. فإن كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة.